اللغة السيميائية الواصفة
(المنزلة والملاءمة والتجديد)

د. محمد الداهي

تقديم

يتمحور المقال العلمي حول اللغة الواصفة التي صاغتها "مدرسة باريس السيميائية " لإثبات مدى تماسك نظريتها وعلميتها وملاءمتها. اقترحت هذه المدرسة –بفضل جهود رائدها ألجيرداس جوليان كريماص وأتباعه– خطاطة تختزل نظريتها وتستوعب عناصرها ومكوناتها وعلائقها بطريقة مُتراتبة تتدرج من العمق إلى السطح. وتسمى هذه الخطاطة بـ"المسار التوليدي للدلالة" الذي يمثل الاقتصاد العام للنظرية السيميائية، ويقدم صورة مجملة عنها.

يعد مفهوم "المسار التوليدي" مسلمة قابلة للتدليل عليها، وإطارا قيد الإنجاز، ومشروعا مفتوحا على احتمالات النقد والمراجعة والتجديد. وهو ما ينفي عنه الطابع الأرثوذكسي، والامتثال الحرفي والأعمى لضوابطه وزواجره. يسعف الباحث السيميائي على فهم المجال الذي يتحرك فيه، ويُموْضعُ أبحاثه ومشاريعه في جانب من جوانبه المُتراتبة والمتشابكة، ويُقيم الجسر بين طبقاته والأطراف المتاخمة لها.

نميز – في مجال السباحة– عادة بين من يسبح وفق قواعد مضبوطة ومن يسبح بطريقة عشوائية أو بعبارة أخرى، بين من تعلم السباحة وتمرن على قواعدها بإيعاز من معلم السباحة ومن مارسها بطريقة عفوية وتلقائية. وينطبق المثال على من تعلم السيميائيات وتمثَّل قواعدها، ومن يخبط –في خضم يمِّها– خبط عشواء على غير هدى أو بصيرة.

1- معنى السيميائيات

تُســتخدم الســيميائيات بمعان مختلفة([1]). أ– بمعنى الحجم الذي يتخذه أي موضــع، ويحتاج إلى تعرُّفه، ب–موضـوع المعرفة في إبان تمثله ثم وصـفه، ج–مجموع الوسـائل التي تسعف على تعرُّفه. إن التعريف المتداول للسيميائيات بصفتها " نظاما للأدلة" لا يناسب (أ)، لأنه يفترض تعرُّف الأدلة وتعويضها بالدلالة. وعليه يصبح موضوع السيميائيات هو "نظام مفعم بالدلالة " (السيميائيات–الموضوع). لا يعقل أن نتحدث عن السيميائيات إلا في حال تواصل السيميائيات– الموضوع والنظرية السيميائية.

السيميائيات– الموضوع	النظرية السيميائية
–مشروع قابل للوصف. –مشروع قابل للتحليل. –موضوع مُشيَّد وقائم بذاته.	–تَصِفُ وتُحَللُ السيميائياتِ– الموضوع بأدوات إجرائية (اللغة السيميائية الواصفة). – تُشيَّد النماذجَ، وتُضفي الانسجامَ عليها. – يتعلق الأمر بالنظرية السيميائية العامة التي تؤطر السيميائيات الخاصة وتحضُنها: السيميائيات البصرية، والسيميائيات المعمارية، والسيميائيات التشكيلية، والسيميائيات التصويرية؛ وغيرها من السيميائيات التي ما فتئت تتناسل من رحم النظرية السيميائية الأم.

يعتبر لويس يالمسليف Louis Hjelmslev (1899–1965) أول من اقترح نظرية سيميائية متماسكة. وهي–في نظره– شبكة من العلاقات المنظمة بطريقة متراتبة، والمتسمة بنمط الوجود المزدوج (الجدولي والمُركَّبي) (وهو ما جعلها تستوعب بصفتها نسقا أو عملية

[1] -Voir Algirdas Julien Greimas, Sémiotique *: dictionnaire raisonné de la théorie du langage* (avec Joseph Courtés), Hachette, 1979, pp.239-240.

سيميائية)، والمكونة على الأقل من الصعيديْن (العبارة والمحتوى)([2]) اللذين يشكلان – باتحادهما– التدلال (sémiosis). تُعنى "مدرسة باريس" بالدلالة؛ ولهذا انصب اهتمامها– أساسا– على شروط إنتاج المعنى واستيعابه بأدوات ومناهج إجرائية (اللغة الواصفة).

2– منزلة السيميولوجيا

يعد كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة"([3]) لفرديناند دو سوسور Ferdinand de Saussure(1857–1913) فتحا مبينا في مجال الدراسات الإنسانية بصفة عامة. عندما وافاه الأجل المحتوم، قام شارل بايي وأندريه سيشهاي بجمع محاضراته في شكل كتاب. من بين الأسئلة التي ظلت مطروحة وعالقة بعد صدوره، نذكر– أساسا– ما يلي: كيف يمكن أن نميز بين كلام سوسور الأستاذ المحاضر وكلام الباحثين اللغويين اللذين تتلمذا له ؟ ظل سوسور مهمشا حتى عام 1927 لما نبه باحث بولوني جيرزي كورلفيتش Jerzy Kuryłowic إلى ملاءمة تصوراته النظرية فيما يخص اللغات الهندية– الأوروبية. ثم أصدرت "الجمعية اللسانية" بجنيف عام 1941 "كراسات فرديناند دو سوسور"، ونشر كلود لفي شتراوس " التحليل البنيوي في اللسانيات" عام 1945 الذي أضحى –بمرور الوقت– "تقليعة عالمية" ([4]).

يحق لنا أن نتساءل: هل استطاع سوسور أن يرتقي بفكره إلى حد صياغة القوانين اللسانية الصارمة، سيرا على نهج غاليليو غاليلي الذي صاغ نموذج القوانين العددية للفيزياء الحديثة، وأنطوان لافوازييه الذي يرجع إليه الفضل في صياغة قانون التركيبات الكيماوية، وكارل فون ليني الذي صاغ نظاما حديثا لتصنيف النباتات؟

عندما ظهر "كتاب محاضرات في اللسانيات العامة" أحدث "ثورة كوبرنكية" في مجال المعرفة الإنسانية بصفة عامة. دافع فيه سوسور عن تحديد موضوع اللسانيات، وإحداث

---

[2] -ما يقابل الدال والمدلول عند فرديناند دو سوسور، لكن عمد لويس يالمسيلف إلى استبدال وجهيْ الدليل بالعبارة والمحتوى، وتفريعه إلى أربع طبقات (Strata): شكل العبارة،ومحتوى العبارة، وشكل المحتوى وماهية المحتوى.

[3]-Ferdinand de Saussure , *Cours de linguistique générale*, Payot, 1916.

4 - Voir, Anne Hénault, *Histoire de la sémiotique*, que je, PUF, 1992, pp .25-26.

قطيعة مع المراحل اللغوية السابقة (النحو المعياري، والفيلولوجيا، والنحو المقارن، والفيلولوجيا المقارنة) التي تستعمل اللغة وسيلةً لدراسة ظواهر خارجية. في حين كان هم سوسور دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها؛ ولذا وضـــع تمييزا دقيقا بين ثلاثة أطراف (اللغة واللســـان والكلام) سعيا إلى تحديد الموضوع الوحيد للسانيات بصفتها علما مستقلا، والبحث عن المبدإ الموحد داخل مجموعة من الظواهر اللغوية المختلطة والمتنافرة.

أرســـى ســـوســـور مداميك المفاهيم اللســـانية الإجرائية (الدال/ المدلول– التطوري/ التزامني– اللسان/ الكلام– الجدولي/ المُركَّبي) التي استندت إليها السيميائيات، ثم جاء لويس يالمسليف الذي أضفى الحيوية والنَّسقيَّة على المفاهيم السوسورية. لم يكن شارحا لسوسور، بل أعطى لنظريته تصورا جديدا مقترحا– في الآن نفسه– ترسانة من المفاهيم، ومتطلعا إلى صَوْرَنة اللغة كما لو كانت نسقا رياضيا.

اسـتطاع العالمان اللغويان (فرديناند دو سـوسـور ولويس يالمسـليف) أن يبلورا لغة واصفة خاصة باللسانيات، وقابلة للتعميم على حقول معرفية أخرى. ومن ضمنها السيميائيات التي اضـطرت إلى الاسـتفادة من اللسـانيات لتحديد موضـوعها، وحصـر مجالها، وصـياغة فرضـياتها. وإذا كان اللسـان هو الموضـوع المُوحِّدُ –الذي كان يراهن عليه سـوسـور لتحديد موضوع اللسانيات، وتمييزها عن العلوم الأخرى– فهو يتخذ الأشكال الآتية:

–اللسان موضوع شكلي: هو شكل وليس ماهية، وذو طبيعة منسجمة.

–اللسان موضوع دلالي: إنه معمار شكل مُحمَّل بالمعاني.

–اللسـان موضـوع اجتماعي: هو مؤسـسـة اجتماعية، وثمرة تعاقد أفراد جماعة لغوية معينة.

–اللسـان وسـيلة للتواصـل مع الآخرين: إما يتعاقد الفرد مع الآخرين لتحقيق الأهداف المشـــتركة (بنية التعاقد)، وإما يدخل في صـــراع معهم لتباين المقاصـــد والأغراض (بنية الصراع).

3–التسمية

أ- **مصطلح السيميولوجيا:** مشتق من الإغريقية القديمة (sêmeion /الدليل). وهي مرتبطة بمجال الطب. ويعنى بها الاختصـــاص الذي يدرس ما يدل على مرض شـــخص (أعراضـــه)؛ أي علم الأعراض (symptomatologie). اســـتعملها فرديناند دو ســوســور بمعنى العلم الذي يدرس حياة الأدلة في حضــن المجتمع. "يمكن أن نتصــور علما يدرس حياة الأدلة في حضــن الحياة الاجتماعية. يشــمل جزءا من علم النفس الاجتماعي، وبالضـــرورة من علم النفس العام. نطلق عليه السيميولوجيا"([5]).

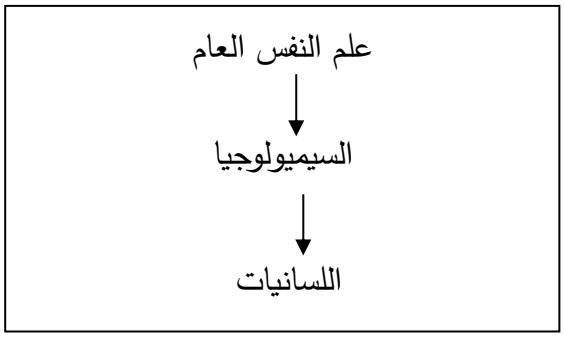

يؤدي علم النفس- في ضـــوء هذه الترســـيمة - دورا لتحديد المكانة المناســـبة للسـيميولوجيا. و تتمثل-في المقابل- مهمة اللسـانيات في تحديد ما يجعل اللغةَ نسقاً خاصـا ضمن مجمل الوقائع السيميولوجية.

ب-السـيميائيات : اسـتعمل شـارل سـاندرس بيرس Peirce Charles Sanders (1839-1914) مفهوم السـيميائيات بصـفتها "النظرية شـبه الضـرورية والصـورية للأدلة". اتفق المشـــاركون- في مؤتمر "الجمعيـة العـالميـة للســـيميـائيـات" عـام 1968 بكازيمييرز Kazimierz في بولونيا- على اسـتعمال مصـطلح "السـيميائيات" حرصـا على توحيد المصـــطلحات والجهود العلمية. وكان في عدادهم كل من رولان بارث، وروما ن

[5] -Ferdinand de Saussure *Cours de linguistique générale*, *op.cit.,* pp.3-34.

جاكبسون، وإميل بينفينيست، ولفي شتراوس، وألجيرداس جوليان كريماص، ويور لوتمان، وجوليا كرستيفا.

4-أنواع السيميائيات

هناك أنواع كثيرة من السيميائيات التي تعنى بدراسة الأنساق الدلالية في المجتمع. نذكر منها السيميائيات الحيوانية (Zoosémiotqiue) التي تدرس التواصل الحيواني، والسيميائيات الطبية، وعلم الحركات، وسيميائيات الأهواء، وسيميائيات الأشياء، وسيميائيات الإشهار، والسيميائيات الأدبية، وسيميائيات السرد.

تُختزل السيميائيات-على تنوعها- في ثلاثة اتجاهات كبرى، وهي:

أ-**السيميائيات التواصلية:** يعد رواد هذا الاتجاه (جورج مونان Georges Mounin، وإريك بويسنسEric Buyssens، وبيير كيرو Pierre Guiraud، ولويس جورج بريطو Luis Jorge Prieto) اللسانَ وسيلةً للتواصل، ويعممون التعريف على كل ما يؤدي في الوجود مهمة التواصل اللغوي (الفيلم، والتقليعة، والرسوم المتحركة، والسينما، والإشهار). إن هذا النوع من السيميائيات اختصاص لساني قابل للتطبيق على مجالات التواصل والتسويق الواسعة النطاق. يصعب أحيانا - في نظر جورج مونان- الحسم بين ما يتعلق بسيميولوجيا التواصل وبين ما يمت إلى سيميولوجيا الدلالة بصلة. وهكذا نحتار في حال التواصل الحيواني في اعتبار الرائحة مؤشرا(indice) يخص تعرُّف الذكر إلى الأنثى (حالة طبيعية في منأى عن مقصد التواصل) أو إشارة (signal) تهم حالة ناجمة عن مقصد التواصل. ومن ثم، استطاعت سيميائيات التواصل إخراج النظرية السيميائية من قوقعة "النزعة المُحايثَة" و"المركزية اللغوية" لإثارة قضايا من قبيل التأويل، والمعاينة البصرية، والتلفظ، والتداول والإقناع.

وفي هذا الصدد، ركز إريك بويسنس على الجانب الحجاجي في التواصل للتأثير على المتلقي وتغيير معتقداته. "تستهدف سيميائيات التواصل بالوسائل المستخدمة التأثير على

الآخر تطلعا إلى إقناعه أو إفحامه"([6]). قد يكون التواصل لغويا (ما اختزله رومان جاكبسون في خطاطته التواصلية) أو غير لغوي (اعتماد الإشارات، والأشكال الهندسية، وملصقات الإشهار، والمميزات البصرية (logotypes)).

ب-السيميائيات الثقافية: نحت يوري لوتمان مفهوم "الغلاف السيميائي" (sémiosphère) على غرار "الغلاف الإحيائي" (biosphère) لفلاديمير فرنادسكي. يعنى بالغلاف الإحيائي"الكلية العضوية للمادة الحية، والشرط الضروري لاستمرار الحياة"([7]). يقترن الغلاف السيميائي بالتعدد اللغوي والثقافي، ويفترض فضاء سيميائيا يستوعب اللغات المترابطة فيما بينها، ويتوزع على محورين: المحور الأفقي للزمن (الماضي/ الحاضر/ المستقبل) والمحور العمودي للفضاء (الداخلي/ الحد/ الخارجي).

تنتظم مختلف لغات "الغلاف السيميائي" وفق مبدأيْ اللاتناظر والثنائية الضدية. توجد في المركز اللغات المتطورة والمنظمة، في حين توجد على الهامش لغات تعاني من مشاكل عديدة، من قبيل التهميش والإقصاء والاستخفاف. يمكن للغة أو نظام أن يفقد سطوته ووحدته وهويته. قد تتمكن لهجة مهمشة أن تصبح اللغة الواصفة لثقافة ما. وفي هذا الإطار أضحت لهجة فلورنسا -في عصر النهضة- هى اللغة الثقافية لإيطاليا. وأصبحت قواعدُ روما النظامَ الشرعي للإمبراطورية الرومانية، واستطاعت- في الآن نفسه- آداب لويس السادس عشر أن تنتشر وتسود في أوروبا برمتها. وبالمقابل، قد يتزحزح المركز عن موضعه وينزاح وِجْهة الهامش، مثلما حصل للبورجوازيين الذين أرغموا علة العيش في ضواحي موسكو في عزِّ اندلاع الثورة البلشفية عام 1917م.

يفترض اللاتناظر حدا فاصلا بين ثقافتين أو غلافين سيميائييْن متداخليْن، أو بين مجالين مختلفين (داخلي/ خارجي، ما هو في ملكيتي/ ما هو في ملكية الآخر، المركز/ المحيط). يعد "الحد مجالا للازدواجية اللغوية والتداخل الثقافي. يجد سكان المناطق المتاخمة

---

[6]-Eric Buyssens*, Message et signaux*, édition Lebegue, Bruxelles,1981 (première édition 1943),p.11.
[7]-Youri LOTMAN, *La sémiosphère*. PULIM, Limoges, 1999, p.12.

أنفسـهم بين فضـاءين ثقافيين مختلفين" ([8]). يطلق عليه هومي بابا "الفضـاء الثالث" الذي يسـتوعب المنفيين والمهاجرين الذين يعيشـون على الحدود بين ثقافتين مختلفتين: الثقافة الأصـلية والثقافة المكتسـبة([9])، وهو ما يجعل هويتهم ممزقة ومضـطربة، ويؤزم وضـعهم الاجتماعي والاعتباري، ويورثهم الإحسـاس بالتهميش والإقصـاء والدونية. ومع ذلك يؤهلهم إلى الوعي بالتناقضـات والمفارقات الفاصـلة بين ثقافتين مختلفتين، ويحفزهم على الاسـتفادة من روافد ثقافية ولغوية مختلفة، ويتيح لهم إمكانيات "التفاوض" لانتقاء العناصـر الإيجابية التي يكون لها مردود إيجابي على تكوين شخصيتهم، وصقل مواهبهم، وتوسيع رؤيتهم للعالم (الهوية المتحركة) بالابتعاد عن العنف والتعصب الأعمى (الهوية القاتلة).

ج-السيميائيات الدلالية:

قصـد رولان بارث(1915-1980)- الذي يعد من أبرز ممثلي هذا التيار- بالبحث السيميائي (أو السيميولوجي كما يُؤْثر) دراسة الأنساق الدلالية حيث تتوطد الدلالة في اللسان أو في أي نظام آخر. وفي هذا الصـدد، نسـتشـهد بمقتطفات هامة يجمل فيها رولان بارث تصوره للسيميولوجيا (يؤثر هذا المصطلح على "السيميائيات").

"سيكون موضوع السيميولوجيا مستقبلا كل نظام من الأدلة أيا كانت ماهيته وحدوده: إذا لم تشكل الصـورةُ والحركاتُ والألحانُ والأشـياءُ، وكذا مركباتُ هذه الماهيات التي نعاينها في الطقوس والمراسيم لغاتٍ، فهي - على الأقل-تُشكِّلُ أنظمةً دلاليةً"([10]).

يدافع بارث في هذا المقتطف عما يأتي:

-يُوسِّـعُ موضـوعَ السـيميولوجيا ليشـمل الأنظمة الدلالية جميعها أيا كان مجالها وماهيتها.

---

[8] -*Ibid.,* p.38.

[9] - فيما يخص التجاذب الثقافي بالفضاء الثالث ومدى انعكاسه وتأثيره على تكوين الهوية الدينامية وبلورتها، انظر:
Homi K. Bahabha*, Les lieux de la culture, une théorie postcoloniale*, traduit de l'anglais (Etats Unis) par Françoise Bouillot, Payot,& Rivage,2007, pp.29-33.

[10] - Roland Barthes , « Introduction», *Communication* n°4,1964 ,p .1.

– لا تقتصر السيميولوجيا على الأنظمة اللغوية فحسب، بل تشمل الظواهر كلها المفعمة والمُحمَّلة بالمعنى: المقال الصحفي، والرسم، والطقوس الاجتماعية، ونشرات الدواء.

"ربما كانت السيميولوجيا مدعوة للاندماج في العبر–ألسنية التي تتشكل مادتها أحيانا من الأسطورة والسرد والمقال الصحفي، وإجمالا من كل المجموعات الدالة التي تتكون ماهيتها الأولية من اللغة المُتناسقة، وأحيانا أخرى من كل الأشياء التي تحفل بها حضارتنا، والتي يُتحدث عنها بالحوار والصحافة والمحادثة، وحتى باللغة الداخلية ذات الصبغة الاستيهامية... نأمل توسيع مجال دراسة التواصلات الجماهيرية شيئا فشيئا، ومواصلة أبحاث أخرى إسهاما في تطوير التحليل العام للمُدرك البشري"([11]).

يثير المقتطف القضايا الآتية:

- تتماهى السيميولوجيا مع العبر–ألسنية التي تُعنى بدراسة كل الأنظمة الدلالية؛ أي دراسة كبريات الوحدات الخطابية الدالة.
- توسيع المجال السيميائي ليشمل كل ما يتعلق بالتواصلات الجماهيرية.
- دعم أبحاث أخرى سعيا إلى تطوير التحليل العام للمدرك البشري (ما يدرك بالحواس).

" يجب– من الآن فصاعدا– أن نسوغ إمكانية قلب الاقتراح السوسوري. ليست اللسانيات جزءا من السيميولوجيا العامة بامتياز، ولكن الجزء هو السيميولوجيا باعتبارها فرعا من اللسانيات، وبالضبط ذلك القسم الذي يحمل على عاتقه كبريات الوحدات الدلالية. وبهذه الكيفية تبرز وحدة البحوث الجارية اليوم في علم الإناسة، وعلم الاجتماع، والتحليل النفسي، والأسلوبية، حول مفهوم الدلالة"([12]).

يطرح المقتطف ما يلي:

- أضحت السيميولوجيا–عكس تصور سوسور– جزءا من اللسانيات.

---

[11] -*Ibid.,* pp. 2-3

[12] رولان بارث، **مبادئ في علم الأدلة**، ترجمة وتقديم محمد البكري، دار قرطبة،1986، ص/ص.30-29

- تمتح السيميولوجيا مفاهيمها ومصطلحاتها من اللسانيات، وتستمد منها لغتها الواصفة. وهكذا نعاين اعتماد السيميائيين على المفاهيم اللسانية لفرديناند دو سوسور ولويس يالمسليف لفاعليتها وملاءمتها في صياغة اللغة السيميائية الواصفة.
- لا ترقى الأنظمة الدلالية إلى المستوى المطلوب إلا بالوسيط أو البديل اللغوي.
- إن السيميولوجيا- في نظر رولان بارث- خجولة لأنها نسخة من اللسانيات، لكنها جسورة لأنها تُعمَّمُ على أشياء غير لسانية.

نستدل ببعض الأمثلة من الكتاب نفسه (مبادئ في علم الأدلة) لإثبات مدى تبعية السيميولوجيا للسانيات باعتماد مفاهيمها وفرضياتها:

أ-الطعام بصفته لسانا وكلاما:

- الطعام / اللسان: قواعد الإقصاء (المحرمات من المأكولات) والتعارض (حلو/ مالح) والتأليف (على مستوى وجبة واحدة).
- الطعام/ الكلام: تتدخل التنويعات الشخصية والعائلية في تهيئ الطعام مع مراعاة مقتضيات الظروف والعادات والتقاليد.

ب-الطعام على المستويين الجدولي والمُركَّبي:

-الطعام على المستوى الجدولي: لا يمكن التلفظ بحرفين دفعة واحدة في السلسلة الكلامية؛ إذ لا بد من تتابع الحروف وتناسقها منطقيا لإصدار المعنى. وفي مجال الطعام أيضا، تتسلسل الأطباق بالنظر إلى الوجبة المختارة.

-الطعام على المستوى المُركَّبي: تتداعى الكلمات غيابيا إلى أن يستقر المتكلم على اللفظ المناسب. وينطبق الأمر نفسه على الطعام بدعوى أنه مجموعة من الأطعمة المقدمة كتنويعات: المقبلات، ثم الوجبة الرئيسة، ثم التحلية.

5-مدرسة باريس

تنتمي إلى "مدرسة باريس" كوكبةٌ من الباحثين الذين تحلقوا حول مؤسسها وملهمها ومنظرها ألجيرداس جوليان كريماص (1917-1992)؛ ومن ضمنهم جاك فونتاني،

وجوزيف كورتيص، وميشـــيل أريفي، وجون كلود كولي، وإريك لاندوفســـكي، ودوني برتراند، ومنار حماد، وآن إينو، وجون بوتيتو وغيرهم. انصـــب اهتمامهم– في البداية– على دراســـة الأنســـاق الدلالية، ثم فتحوا أبوابا على مجالات مختلفة (المعمار، والأهواء، والإشـــهار، والحكاية الشـــعبية، والمتون الإثنوغرافية، والســـينما، والأدب، والســـرد). مازالت–لحد الآن– أوراشـــها مفتوحة على الأصـــعدة والمجالات جميعها، ومُسْـــهمة في اقتراح مشـــاريع جديدة، ومواكبة المســـتحدثات المعرفية والمنهجية، وإضـــفاء الحركية على المنطلقات والفرضـــيات الأساسية([13]).

تدرَّج كريماص من الاختصـــاص المعجمي إلى الاختصـــاص الســـيميائي مرورا بالاختصـاص الدلالي. ورغم تنوع هذه الاختصـاصـات فهي تشـترك في خاصـية البحث عن المعنى وإعادة تشييده. أصدر أول كتاب عام 1966 "علم الدلالة البنيوي"، ثم أعقبه بمؤلفات ودراسات كثيرة أسهمت–تدريجيا– في تأسيس الصرح السيميائي، وتعزيز فرضياته وترسانته المصـــطلحية، والانفتاح على كل ما يســـعف على فهم "الوجود الســـيميائي المتجانس" (فعل الإنســـان، وأهواؤه، وأداؤه التواصـــلي والتلفظي). توَّج مجمل أعماله بإصـــدار "المعجم المعقلن للنظرية الســـيميائية" في جزأين بصـــحبة جوزيف كورتيص تطلعا إلى التعريف بالمفاهيم المستخدمة، وبيان موقعها في "المسار التوليدي "للدلالة الذي يقدم صورة مجملة عن النظرية الســيميائية، ويرشــد الباحثين إلى اســتيعاب مســتوياتها وطبقاتها وبنياتها وعلائقها المتداخلة والمندغمة فيما بينها.

استندت السيميائيات –في عقد الستينيات من الألفية الثانية– إلى المسلمات البنيوية التي كانت رائجة ومهيمنة في ذلك الوقت، ثم ارتكزت– مع بداية السبعينيات– على المنعطف الابســتمولوجي الذي دشــنته أعمال إميل بينفينيســت المتعلقة بالتلفظ ، وخاصـــة دراســـتيه

[13] - انظر في هذا الصدد ، جاك فونتاني، **مكاسب السيميائيات ومشاريعها**، (حوار أنجزه محمد الداهي)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، كراسات الكلية رقم 6، ط1، 2017.

الشـهيرتين اللتين أحدثا "ثورة هادئة" في مجال اللسـانيات العامة، وأرهصـتا بظهور الإبدال ما بعد البنيوي: "الجهاز الشكلي للتلفظ"([14]) و"الإنسان في اللسان"([15]).

1-5- مرتكزات النظرية السيميائية

أضحت السيميائيات نظرية بحكم طابعها العلمي الصارم، وبالنظر إلى انسجام مستوياتها ومكوناتها وعناصرها، واتساق لغتها الواصفة.ومن مرتكزاتها نذكر ما يلي:

ا- القيمة والاختلاف: تتكون المعاني بدخول الألفاظ في علاقات اختلافية مع بعضها البعض. يكتسب كل لفظ قيمته باختلافه مع لفظ آخر. وما يجعل الألفاظ المختلفة محافظة على طابعها الحركي هو انضباطها وتراصها في بنية متراصة (الضبط الذاتي).

ب- تشييد اللغة الصورية: تعتمد كل نظرية على اللغة الواصفة التي تميزها عن غيرها من النظريات، وتثبت تناسقها وملاءمتها نظريا وتطبيقيا. على نحو، التمييز بين علاقات الحالات(التناقض) وبين علاقات العمليات(النفي)، وما يترتب عليها من أنظمة التمثيل (مثل المربع السيميائي).

ج-المربع السيميائي: هو التمثيل البصري "للبنية الدلالية الأولية" التي تتحدد- في بداية الأمر- بوصفها علاقة بين حدين متناقضين (أ/ لا أ). تسمى هذه العلاقة بال**محور الدلالي** الذي يبين لنا مدى إمكانية كل حدٍّ على حدة من الدخول في تعارض مع نقيضه، وبالتالي توليد علاقة جديدة قد يترتب عليها طرف ثالث(حالة وسطى تجمع بين أمشاج الطرفين المتناقضين): يتوسط اللون الأسمر اللونين الأبيض والأسود، وتتوسط الخنثى الذكر والأنثى.

يتولد عن المحور الدلالي "اللون" الحدّان الآتيان: أبيض/ أسود. وتتجسد العلاقات بينهما في المربع السيميائي كما يلي:

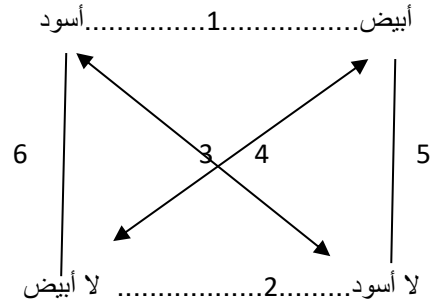

[14] -Emile Benveniste, *Prol* ...ırd, tome II,1974, pp.79-90.

[15] -Emile Benveniste, *Prol* ...rd, tome I, 1966,pp.225-277.

أ- العلاقات :

..... علاقات التضاد (1-2)

←→ علاقات التناقض(3-4)

—— علاقات الاقتضاء(5-6)

ب- المحاور:

1 - محور التضاد: أبيض/ أسود

2- محور شبه التضاد : لا أسود/ لا أبيض.

3-الخطاطة الإيجابية : أبيض / لا أبيض

4-الخطاطة السلبية: أسود / لا أسود

5-المؤشر الإيجابي : أبيض / لا أسود

6-المؤشر السلبي: أسود / لا أبيض

2-5-المسار التوليدي

يُعنى به مجموعُ العلاقات والتحولات التي تثبت مدى عِلميَّة السيميائيات وتماسكها، وملاءمتها من الناحيتين النظرية والتطبيقية، وهو يتكون مما يلي:

1-من البنيات الآتية:

أ-البنى السيميا-سردية .

ب- البنى الخطابية

ج- البنى النصية.

2- ومن المستويين الآتيين : العمق (تكون البنيات مضمرة، وهي تُعيِّن -عموديا- موضع انطلاق المعنى) والسطح (تصبح البنيات معاينة وملموسة خطابيا، وفي هذه الحالة تُعيِّن موضع تحقق سلسلة من التحولات التي تتشخص باعتبارها مسارا توليديا).

يتضمن المسار التوليدي المكونين الآتيين:

– المكون التركيبي: هو مجموعة من القواعد التي تنتظم في شكل صنافات وخطاطات تسعف على ضبط المتخيل البشري في شكل "خوارزميات" أو "خطاطات مقننة ومعيارية"

–المكون الدلالي: تستوعبُ الوحداتُ المعانيَ والدلالاتِ التي تناسبها في السياق الذي وردت فيه.

ينبغي للدلالة –كما يتصورها السيميائيون– أن تستجيب لثلاثة شروط أساسية، وهي:

– أن تكون توليدية: يتدرج المعنى عبر مستويات ومكونات متتالية ومتداخلة بدءا من العمق (المحتويات المغرقة في التجريد) ووصولا إلى السطح(المحتويات الملموسة).

– أن تكون مُركَّبية : ليست الوحدات معزولة عن بعضها البعض، بل هي منسجمة ومتسقة لإنتاج الآثار الدلالية المُتشاكلة. وبعبارة أخرى يتدرج المعنى من الوحدات المُركبيَّة الصغرى إلى التأليفات الدلالية (المجموعات الدالة).

– أن تكون عامة : تمثل السيميائيات نظرية عامة للدلالة سواء أكانت تخص اللغات الطبيعية أم المنتجات السيميائية المختلفة. يمكن لوحدة المعنى(L'unicité du sens)أن تتجلى في مختلف الأنظمة الدلالية (اللغة، واللباس، والحركة، والصورة، والتشكيل، والمبارزة، والمباراة الرياضية).

يستوعب المسار التوليدي للدلالة([16]) مكونات النظرية السيميائية وعلائقها ومستوياتها، ويقدم صورة مصغرة ومفترضة عنها. وأي تجديد في المجال السيميائي إلا ويتطلب من صاحبه أن يتموقع في هذا المسار معللا منطلقاته وخلفياته المعرفية، ومقترحا العناصر التي تلائم أفقَه ونسقَه العامين، كما هو مبينٌ في الخطاطة الآتية:

[16] -Algirdas Julien Greimas (avec Joseph Courtés), *Sémiotique : dictionnaire raisonné de la théorie du langage ,op .cit.,*p.160(1 col).

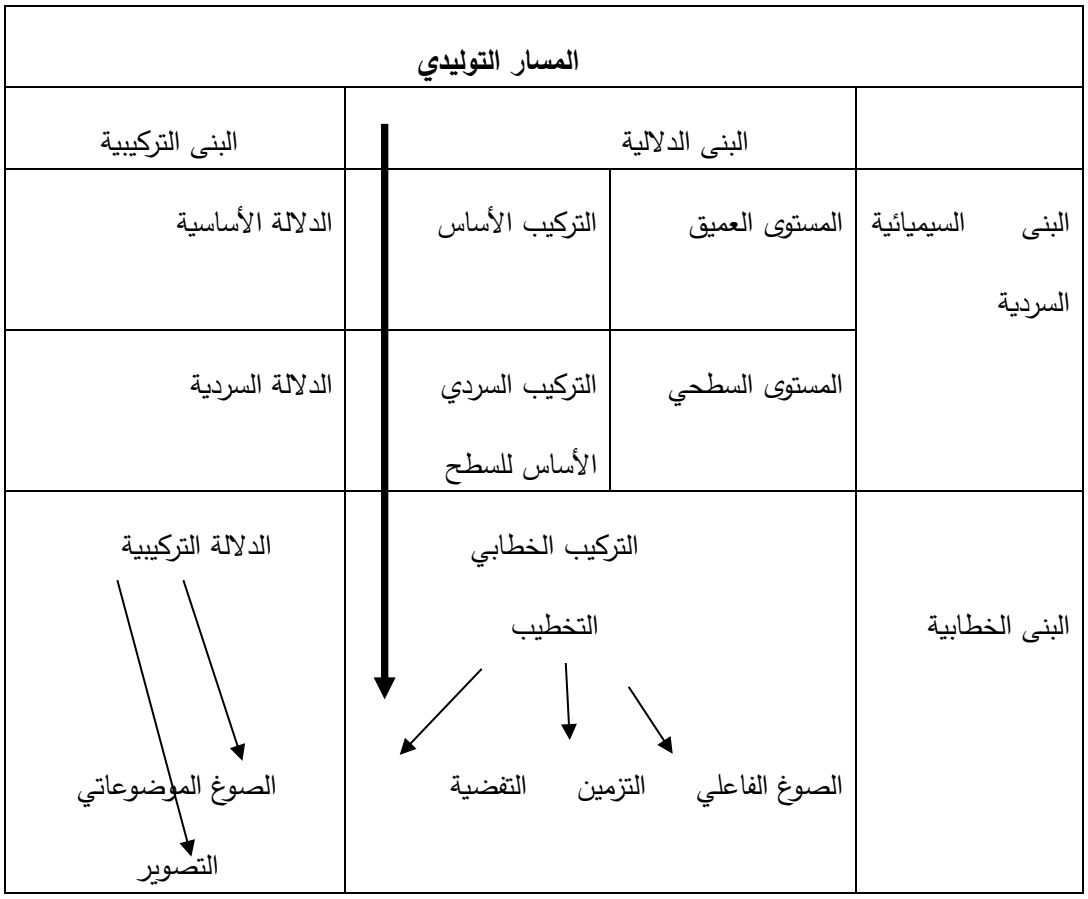

1-2-5-الدلالة الأساسية

تتسم بطابعها التجريدي لتموْضُعها في العمق، وتتواشج أفقيا مع الدلالية السردية وعموديا مع التركيب الأساس. "إن الوحدات- التي تتشكل منها البنيات الأولية للدلالة، وتُصاغُ بصفتها مقولات دلالية- قابلة أن تتمفصل في المربع السيميائي الذي يمنحها منزلة دلالية- منطقية، ويجعلها ذات صبغة إجرائية. تُمثِّلُ الدلالة الأساسية جردا (أو صنافة؟) للمقولات المعْنميَّة sémique التي تُستثمر باعتبارها أنساقا قيمية مفترضة، لا تُحيّن إلا في المستوى السردي عند اتصالها بالذوات"([17]).

[17] -*ibid.,* p.330(1 col).

" يتجسد العالم الدلالي بطريقتين: إما بصفته عالما فرديا وإما بصفته عالما اجتماعيا؛ ما يفضي إلى افتراض وجود نوعين من الكليات الدلالية التي لا يمكن أن تُنكرَ فعاليتُها الإجرائية "([18]).

أ–المَعْنمُ: هو "الوحدة الدنيا للدلالة" ذات الصبغة الخلافية والعلائقية.

– المعانم النووية : وهي الوحدات المعجمية التي تميز لفظا عن غيره.

المرأة : [+ كائن] ،[+حي]، [+أنثى]، [+عاقلة]

الرجل: [+ كائن]، [+حي]، [+ذكر]، [+عاقل]

فهما يشتركان في سمات ومعانم معينة، لكنهما يختلفان على معنم الجنس (ذكر/ أنثى).

– النواة المعنمية : يُعنى بها "حد أدنى معْنميّ دائم"([19])؛ والحال هكذا تحتفظ كلمة "الرأس بالمعنم "شبه كروي" في الأمثلة الموالية : رأس جبل، رأس إبرة، رأس مسمار، رأس إنسان، رأس أسد، وبمنعم "الصلابة" : جشم رأسه، له رأس صلب، ارتطم رأسه بالجدران، تعذر عليه تقطيع جمجمة الكبش.

– المعنم السياقي: "يتجلى في وحدات تركيبية ممتدة تربط بين مُعجميتيْن على الأقل"([20]). لنأخذ المثالين الآتيين:

نبح الكلب. يعتبر "النباح" معنما نوويا أو خاصية جوهرية في صنف الكلاب.

نبح ضابط الشرطة . يوجد تنافر دلالي في هذا الملفوظ بدعوى إسناد صفة النباح إلى الإنسان. واستعير للضابط صفة "النباح" لصراخه أو زمجرته احتجاجا على تصرف ما أو استخفافا به.

ب– التشاكل: "مجموع مُسهبٌ من المقولات الدلالية (المَصْنفيَّة Classèmatique) التي تجعل القراءة المُوحَّدة للسرد ممكنة"([21]).

---

[18] -*Ibid.,* p.320,(2 col).

19 Algirdas Julien Greimas, *Sémantique structurale : recherche de méthode*, Larousse, 1966, p.44.

20 -*ibid.,* p.103.

[21] Algirdas Julien Greimas*, Du sens, essais sémiotiques*, Seuil, 1970, p.188.

ومن وظائف التشاكل نذكر ما يلي:

- إزالة اللبس من النص، وتبديد ما يشوبه من غموض حرصا على الإفهام والتفاهم.
- إضفاء الانسجام على النص رغم تعدد معانيه، وإحالته إلى عوالم دلالية مختلفة.
- التحدث في موضوع رئيس رغم تفرعه وتشعبه إلى مواضيع واستطرادات متفرقة.
- يكون النص متعدد التشاكل(pluri-isotope) في حال انزياحه عن اللغة المعتادة والمتداولة، وتضمنه صورا شعرية ورموزا موحية.

2-2-5-التركيب الأساس

ينتمي "التركيب الأساس" و"الدلالة الأساسية" إلى المستوى العميق للنحو السيميائي والسردي، ويمثل البنية الدلالية الأولية بمصطلحات منطقية وبالتمثيل البصري (المربع السيميائي). لا يكتسب المعنم قيمته إلا في إطار علائقي واختلافي (المحور الدلالي للون : أبيض/ أسود، المحور الدلالي للجنس: الأنثى/ الذكر، المحور الدلالي للكون: الحياة/ الموت).

تحدث -في هذا المرقى من المسار التوليدي- "العمليات التركيبية" الأساسية أو التحولات التي تتدرج من النفي(التناقض الحاصل بين عنصرين) إلى الإثبات (الجمع بين العناصر التي تتموضع في محور التضاد أو شبه التضاد)، والعكس صحيح([22]). ويتسم "التركيب الأساس" بطابعه العلائقي، ويقع- منطقيا- قبل " التركيب السردي للسطح" الذي يتشكل من الملفوظات التي تستوعب العوامل والوظائف([23]).

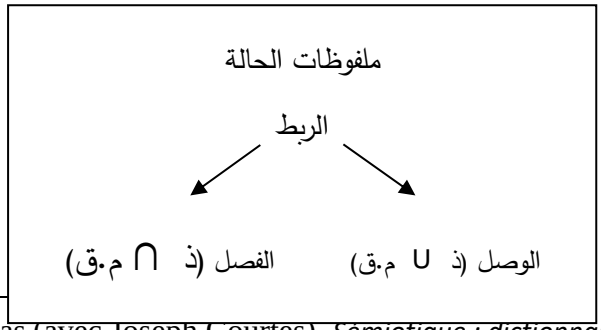

[22]-Algirdas Julien Greimas (avec Joseph Courtés), *Sémiotique : dictionnaire raisonné de la théorie du langage, op.cit.,* p.380,(col2).

[23]- *Ibid .,* p. 380,(col2).

3-2-5-الدلالة السردية

تقوم "الدلالة السردية" بتحيين القيم في البرامج السردية، ويؤدي "المسار السردي" (تسلسل البرامج السردية)–في هذا الصدد– إلى التراكم العددي والتذكُّري للوقائع والمعاني.

أ–محفل تحيين القيم: تكون مفترضة في "المسار السردي"، ثم مُحيَّنة بمراهنة الذات على الوصول إلى الموضوع القِيميّ، ثم مُحقَّقة في حال تمكنها من الظفر به.

ب–القيم الوصفية (مواضيع مستهلكة أو مدخرة): تنقسم إلى فئتين: إحداهما قيم ذاتية أو جوهرية (كينونة الذات: ما تشعر به وتضمره)، وثانيتهما قيم موضوعية أو عرضية (ملكية الذات: ما تملكه وتتصرف فيه).

ب–القيم الجِهيَّة: ما تتحلى به الذات من جهات مناسبة لتحقيق ما تصبو إليه: الإرادة، والقدرة، وواجب الفعل، والفعل.

د–البرنامج السردي: وحدة تركيبية بسيطة تستتبع انخراط الذات في مشروع ما لتحقيق الموضوع القيمي. وهو– بالإجمال– متوالية منطقية لنوعين من البرامج المتكاملة: برنامج سردي جهي (برنامج الكفاية) يقتضي منطقيا برنامج التحقيق (برنامج الإنجاز). يصبح البرنامج معقدا عندما يقتضي تحقيق برنامج سردي آخر. لوصول القرد إلى الموز المعلق (البرنامج السردي الأساس) يحتاج إلى العصا (البرنامج السردي للاستعمال). ويمكن للبرنامج السردي للاستعمال أن تقوم به الذات نفسها أو توكل المهمة إلى طرف آخر.

يتجلى البرنامج السردي –عموما– كما يلي:

ب.س= و[ذ1 ⟵ (ذ2 ∪ م.ق)]

ب.س= و[ذ1 ⟵ (ذ2 ∩ م.ق)]

و= الوظيفة

ذ1=الذات الفاعلة

ذ2=ذات الحالة

م.ق= الموضوع القيمي

[] =ملفوظ الفعل

()= ملفوظ الحالة

U= الوصل

∩= الفصل

يراعى في البرنامج السردي ما يلي([24]):

أ–طبيعة الربط (الوصل أو الفصل) التي تبين حصول الذات على مرادها أو حرمانها منه.

ب–طبيعة القيمة المستثمرة (القيم الجِهيَّة، والوصفية، والمعرفية، والتداولية).

ج–تكون الذات مفردة أو جماعية، مستقلة أو متآلفة.

بيَّن ألجيرداس جوليان كريماص وجوزيف كورتيص– في الجزء الثاني من "المعجم المعقلن للنظرية السيميائية"– أن "الدلالة الأساسية" نظامٌ أكسيولوجيٌّ مفترض يخص المقولات الإدراكية أكانت تَحقُّقيةً (إظهار ما يجول في الكينونة والسريرة) أم انفعالية (الفرح والحزن). وهي– عموما– تُعنى بتفاعل الإنسان مع عالم الحس المشترك، واحتكاكه بقضايا وجودية (الحياة/ الموت، الطبيعة/ الثقافة). يشترك "التحقُّقي" و"الانفعالي" في قدرة الإنسان على إضمار أحاسيسه (كينونته وسريرته) أو التعبير عنها للتأثير على الآخرين إيجابا أو سلبا مع مراعاة خلفياتهم الثقافية (الصنافة الأساسية)([25]).

يتباين في "اللص والكلاب"([26]) برنامجان سرديان، وهما:

---

[24]- Algirdas Julien Greimas (avec Joseph Courtés), *Sémiotique : dictionnaire raisonné de la théorie du langage* op.cit.,p.297,(4col).

[25]-A.J. Greimas et J.Courtés, *Sémiotique Dictionnaire raisonnée de la Théorie du Langage II, (compléments, débats, propositions)*, Classiques Hachette, 1986, pp.197-198.

[26] -استعنا برواية نجيب محفوظ **اللص والكلاب**، دار الشروق الأولى، 2006 لإعطاء بعض الأمثلة وتوضيح بعض المفاهيم والخوارزميات.

البرنامج السردي الأساس(ب.س.أ): إصرار سعيد مهران على الانتقام من الخونة والخصوم حرصا على إعادة الاعتبار إلى ذاته.

–البرنامج السردي المضاد (ب.س. م): سعى الخصوم إلى النجاة من شر سعيد وأذاه، و إلى تحريض البوليس لإلقاء القبض عليه، والزج به في السجن من جديد.

–نجمل التحولات– التي وقعت في مجرى الرواية– كما يلي:

ب.س.أ=(ذ ∩ م.ق) ⟵ (ذ∩ م.ق)

ب.س.م=(ذ ∩ م.ق) ⟵ (ذ ∪ م.ق)

نلاحظ –من خلال الترسيمتيْن أن أحداث الرواية تنتظم في شكل دائري (عودة سعيد مهران إلى السجن)، وتدور في حلقة مفرغة (عدم تمكن سعيد مهران من قتل أعدائه).

4-2-5-التركيب السردي للسطح

أ-السرديَّة: هي توالي الحالات والتحولات المدرجة في الخطاب والمسؤولة عن إنتاج المعنى. وفي هذا الصدد، يعتبر البرنامج السردي جماعا من الحالات والتحولات التي تفضي بالذات إلى تحقيق مرادها أو حرمانه منه. تفرض البنية الجدالية أو التعاقدية على "التركيب السردي" الاهتمام بالعلاقة القائمة بين العوامل، وبالبرامج السردية التي انخرطت فيها. ومن ثم تتخذ السردية طابع الصراع بين الذات (البرنامج السردي) والذات المضادة (البرنامج السردي المضاد) في حرص شديد على نيل المراد، وحرمان الآخر منه.

ب-الخطاطة السردية: "تمثل إطارا صوريا تنطبع فيه "معنى الحياة" بواسطة المحافل الثلاثة الأساسية"([27]): تأهيل الذات لأداء مهمة، ثم إنجازها على النحو المطلوب، ثم مجازاتها

[27] A.J. Greimas et J.Courtés , *Sémiotique Dictionnaire raisonnée de la Théorie du Langage II, (compléments, débats, propositions)*, *op.cit.*,p.245, (col 1).

على أدائها. وتستوعب الخطاطة كل الخطوات التي تقوم بها الذات للوصول إلى مبتغاها، كما تتضمن المؤهلات التي يجب أن تتحلى بها حتى تؤدي مهمتها على أحسن ما يرام. وهي تتخذ–في هذا الصدد – صبغة منطقية لتيسير تعاقب المراحل بطريقة مقننة ومعيارية (كل مرحلة تقتضي منطقيا المرحلة التي تليها).

التطويع	الكفاية	الإنجاز	الجزاء
– يقوم على الفعل الإقناعي أو الترهيب أو الإغراء لحفز الذات على القيام بالمهمة المنوط بها. –مجموع العمليات المفضية إلى فعل الفعل. –ممارسة "الفعل الإقناعي" لحمل الذات على إنجاز المهمة المطلوبة. –حفزت الظروف الاجتماعية والنفسية سعيد مهران على اتخاذ القرار الجريء: الانتقام من الخصوم والأعداء لرد الاعتبار إلى ذاته.	– ينبغي للذات أن تتوفر على المؤهلات الضرورية والمناسبة حتى تنجز المهمة على الوجه المطلوب. قد تكون مؤهلات ذهنية أو جسدية أو سحرية أو لغوية. –تنجز الذات البرنامج الجهي (الكفاية) متحلية بالجهات المناسبة؛ وفي مقدمتها جهة "واجب الفعل" وجهة "فعل الفعل"(–faire faire). – تحلى مهران بجملة من المؤهلات	–هو قوام نظرية العمل التي تتمحور حول السبل المفضية إلى الإنجاز المتقن (نجاح الذات في أداء مهمتها بتغلبها على المصاعب وامتلاكها الموضوع القيمي). – تنجز الذات برنامج التحقيق (الإنجاز). – أخطأت رصاصات سعيد مهران طريقها إلى أعدائه مصيبة عوضهم الأبرياء. وهو ما جعله يخفق في مسعاه، و ما عجَّل أيضا بعودته إلى السجن.	–هو حكم معرفي يقوم به المرسل لتقويم عمل الذات بالنظر إلى النظام الأكسيولوجي السائد (العدالة، حسن الأداء، الجمال). – تُجازى الذات بالاحتكام إلى مدى مطابقة فعلها لمعايير الإنجاز، ولما تم التعاقد عليه. فإن حصل التطابق يُمنحُ لها تعويضٌ رمزيٌّ أو ماديٌّ، وإن أخفقت تُعاقب على فعلها. –كان سعيد مهران يُمنّي النفس بمجازاة ذاته (رد الاعتبار إلى

	الجسمانية والذهنية واللوجستيكية والجهية ("واجب الفعل" و"القدرة على الفعل") لتنفيذ خطته وبرنامجه السردي الأساس (الانتقام من الخونة)		نفسه) دفاعا عن كرامته وكبريائه. لكنه أخفق في مسعاه، وألقي القبض عليه للزج به في السجن من جديد.

يندرج التطويع والجزاء ضمن البعد المعرفي (الحكم، المعرفة، الإقناع، الاقتناع، التأويل)، في حين يستوعب البعد التداولي الكفاية والإنجاز (السلوكيات والتصرفات السيميائية الدالة التي تنتظم في شكل برامج سردية).

5-2-5-الدلالة الخطابية

يصعب في الوقت الحالي-بحسب صاحبيْ "المعجم المعقلن للسيميائيات"- تحديد بدقة متناهية الاقتصاد العام للدلالة الخطابية، ولذا قدما الخطوط الكبرى لمشروع يعتمد جملةً من المسلمات. يأتي- في مقدمتها- تدرج المسار التوليدي من الدلالي المجرد إلى الصُّوَريِّ الملموس. يمكن لموضوع "الحرية" أن يتجسد بصور مختلفة (الاستقلال، والاعتقال، والمقاومة، والنضال، والقانون، والحيف). فكل صورة من هذه الصور يمكن أن تُفكَّكَ إلى معانم وصوامت، وتتواشج مع صور أخرى في إطار قالب دلالي أو خطاب متماسك ومتناسق، وتنزاح-أيضا- عن اللغة المعتادة (مثل الصور الشعرية).

ا-**المسار الصُّوَريُّ**: يعنى به "سلسلة متشاكلة من الصور التي تحوم حول موضوع ما"([28]). يتشخص موضوع " المقدس" بجملة من الصور المتشاكلة فيما بينها: الفقيه، القس، المسجد، الصلاة، القبلة، المحراب. كما يوحي موضوع "السيارة" بقيمة "المتانة"، ويحرك برامج

[28] -*Ibid.,* p.146, col 2.

سردية (الشراء، البيع، المساومة،المفاوضة) ومسارات صُوَريَّة (الراحة، القوة، النجاعة، الأبهة، الفخفخة، البهاء). وإن كانت الصور تسهم في تماسك الخطاب وانسجامه، فهي "تسعف– بصفتها وحدات للمحتوى– على تحديد الأدوار العاملية (وإلباسها غطاء يواتيها) والوظائف التي تشغلها"([29]).

إن دور مهران في "اللص والكلاب" مُسْتثمرٌ دلاليا بصور مناسبة : لص خطير، ومثقف، ومناضل سابق، ومتنكر في هيئة ضابط. وكل هذه الصور تدور في فلك جهة "إمكانية الكينونة"؛ أي أنه يستثمر مؤهلاته وقدراته وخبراته متفاديا الأخطار المحدقة، ومؤديا المهمات المنوط بها على الوجه الأحسن، وساعيا إلى تحقيق ما يصبو إليه رغم كثرة المصاعب.

يتعلق البرنامج السردي بسعي سعيد مهران إلى الانتقام من الخونة الذين مرغوا كرامته في التراب. قد نعاين أن التحليل الخطابي يتقاطع –في بعض المفاصل– مع التحليل السردي. وما يميز التحليل الخطابي عن غيره هو عنايتُه بالصور التي قد تبدو ثانوية ومهملة وشاردة في حين أنها تسعف على إضاءة كثير من الجوانب الداجية في النص. وهكذا ينبغي التوقف عند كثير من الصور المستثمرة في رواية "اللص والكلاب"، مثل "الكتب" و"المسدس" و"بذلة الضابط" و"الكلاب" و"حاسة الشم". فهي توحي بدلالات إيحائية، وتحتم الانتقال من مستوى السرد إلى المستوى الرمز، ومن مستوى العمل إلى مستوى الهوى([30]).

ب–الصوغ الموضوعاتي: "هو تدبير – وإن ما فتئ في طور الاكتشاف– يأخذ على عاتقه القيم التي سبق أن حققتها الدلالة السردية إثر حصول الاتصال بين القيم والذوات"([31])، ويعمل–في المنحى نفسه– على إدماج هذه القيم بطريقة متفرقة في شكل موضوعات داخل البرامج والمسارات السردية. غالبا، ما تكون الصورة مجردة، فيعمل على صياغتها موضوعاتيا

---

[29]-Groupe d'Entrevernes, *Analyse sémiotique des textes, Introduction Pratique-Théorie*, éd .Toubkal, 1987,p.89.

[30] - يندرج هذا كما يرى رولان بارث في إطار "الوظائف الاندماجية" التي تحتم علينا فهم حدث أو قضية ما بالانتقال إلى مستويات أخرى من السرد. وتقابلها "الوظائف التوزيعية" التي تسعفنا على فهم أداة أو وسيلة ما باستعمالها فيما بعد. انظر في هذا الصدد:
Roland Barthes ,«Introduction à l'analyse structurale des récits » in *Poétique du récit*, Edition du Seuil,1977, p.19.

[31]-A.J. Greimas et J.Courtés, *Sémiotique Dictionnaire raisonnée de la Théorie du Langage II, (compléments, débats, propositions)*, *op.cit.*,p.391,(col 2).

بالنظر إلى التدابير المكانية أو الزمانية الخاصة بالتركيب الخطابي. اضطر سعيد مهران – لتفادي الزج به في السجن مرة أخرى– إلى الفرار من فضاء إلى آخر، وإلى تسريع وتيرة الزمن لتصفية الخونة والأعداء (رؤوف علوان، عليش سدرة، نبوية) الذين نكثوا العهد، وعاثوا في الأرض فسادا.

6-2-5-التركيب الخطابي

ما فتئ في طور الإنجاز، ولذا يصعب حاليا أن تُحدَّدَ منزلتُه قطعيا. ما يلفت النظر أنه مجال بكر يستفيد من المكاسب التلفظية التي تسعف على فهم آليتي الانفصال والاتصال في أثناء إنتاج الخطاب، ويتكون من ثلاثة مكونات أساسية، وهي: الصوغ الفاعلي، والتزمين، والتفضية.

أ-**الصوغ الفاعلي:** يربط بين المستويين الدلالي والتركيبي، ويخضع للشروط الآتية:

- أن يكون له موقع تركيبي.
- أن يحفز على الاضطلاع بالبرنامج السردي.
- أن يحدث جملة من العلاقات المبنية على التعاقد و الصراع.
- أن يستجلي التمفصل الثلاثي: المفترض، ثم المُحيَّن، ثم المُحقَّق.
- أن يُؤطَّرَ بالانفصال والاتصال التلفظييْن.
- أن يجسد حالتيْ الحرمان و الفقدان من جهة أو حالتيْ النجاح أو الاعتراف من جهة ثانية.

ب-**الدور العاملي:** "يؤدي العامل عملا أو فعلا. يتحدد الدور بالنظر إلى موقع العامل داخل المسار السردي، وإلى الحمولة الجهية الخاصة التي يتحلى بها"([32]) . تُختزل الأدوارُ الموضوعاتيةُ في النموذج العاملي أسفله الذي يقوم على ثلاثة محاور، وهي: التواصل (بين المرسل والمرسل إليه)، ومحور الإرادة (رغبة الذات في الوصول إلى الموضوع القيمي)، ومحور الصراع (بين المساعد والمعيق).

---

[32] -*Ibid.,*p.4.

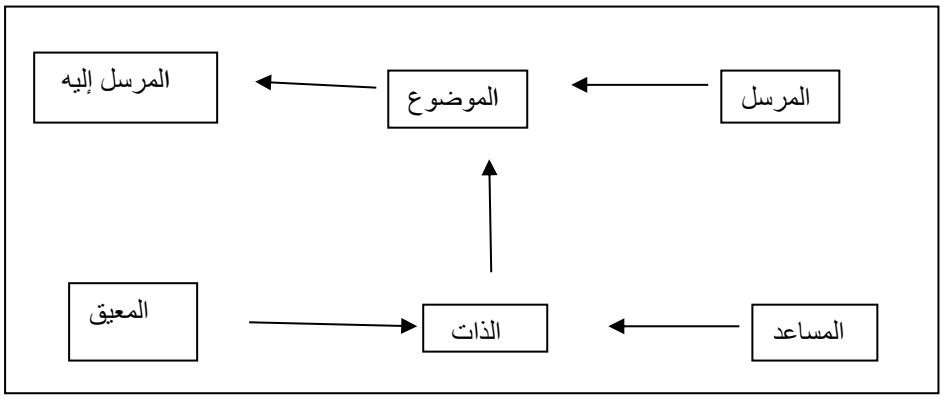

ج–**الدور الموضوعاتي:** "إن الفاعل صورةٌ تؤدي– في الآن نفسه– دوراً عاملياً (أو أدواراً عاملية تشغل موقعاً داخل البرنامج السردي) ودوراً فاعلياً (أو أدواراً فاعلية) يحدد (تحدد) انتسابه (ها) إلى مسار صُوري (مسارات صورية) معين (ة)" ([33]). يمكن أن يتجلى عامل واحد في الخطاب بواسطة فواعل متعددة (ف1، ف2، ف3)، والعكس صحيح، يمكن لفاعل واحد **(ع1)** أن يُؤلِّف بين عوامل متعددة **(ع1، ع2، ع3)**.

أورد كريماص الخطاطتين الآتيتين ([34]) لتوضيح ذلك:

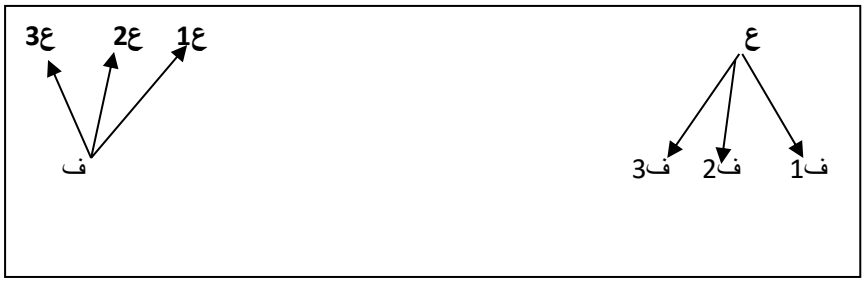

يؤدي الفاعل دورين في الآن نفسه: أحدهما دور موضوعاتي (ملخص المسار التصويري) وثانيهما دور عاملي (الموقع الذي يشغله الفاعل في البرنامج السردي). "يصبح الفاعل-من خلال تقاطع الصعيدين السردي والخطابي- مفصلا يسعف على تلاحم البنيات السردية؛ إذ تسهم البرامج السردية في ترابط الأدوار العاملية و البنيات الخطابية التي تُختزل

[33] - Groupe d'Entrevernes*, Analyse sémiotique des textes, op.cit*., p.99.
[34] -GREIMAS, A. J. *Du sens essais sémiotiques*, *op.cit.,* p.49.

فيها المسارات الصورية على هيئة الأدوار الموضوعاتية" ([35]). وهو ما تجمله "مجموعة أنتروفرن" في هذه الخطاطة ([36]).

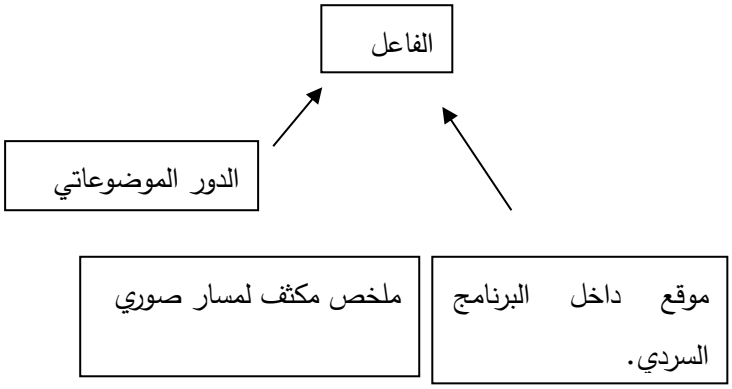

يؤدي عامل الذات (سعيد مهران) أدوارا موضوعاتية عديدة، من قبيل: السرقة، والتباهي بكونه مثقفا ومناضلا، والتنكر في هيئة ضابط، والرأفة على ابنته سناء.

يضطلع الفاعل عليش –على سبيل المثال– بأداء دورين عاملين مختلفين. كان عاملا مساعدا يؤازر سعيد، وفي عداد حاشيته، وأصبح عاملا معيقا عندما دخل سعيد إلى السجن، وأقنع نبوية بالخروج من عصمته لاتخاذها زوجة له على سنة الله ورسوله.

د–التزمين: يعد مكونا من مكونات التخطيب، ويخضع لآليتي الاتصال والانفصال اللتين تحيلان إلى محفل التلفظ: البارحة/ اليوم، السنة الماضية/ السنة المقبلة.

– يُبرمَج الزمن (البرْمَجَة الزمنيَّة)، ويخضع للتنظيم والتتابع المنطقيين مُفضيا إلى المشروع المؤمل والمتوقع.

– ينتظم الزمن وفق المقولة الوِجْهيَّة (catégorie aspectuelle): مستمر/ منقطع، تام/ ناقص، بَدْئي/ نهائي.

---

[35]- Groupe d'Entrevernes, *Analyse sémiotique des textes, op.cit*., p.99.

[36] -*Ibid .,* p.99.

هـ-التفضية : يحدد الفضاء بصيغ التعيين ومؤشراته، التي تسعف الإنسان على تعرُّف معالمه وتنظيم مشاريعه. ويخضع-هو الآخر- لعمليتيْ الانفصال والاتصال التلفظيين. هنا/ هناك، المغرب/ إسبانيا.

- يُبرمجُ الفضاءُ (البرمجة الفضائية) حرصا على تعاقب البرامج السردية، وتنزيل المشاريع في الوقت المناسب، وتوفير الأجواء المناسبة حتى تنال الذات ما تصبو إليه.

على الذات أن تتعرَّفَ خاصيات الفضاء وصفاته ومميزاته للتحرك والتجوال فيه بسلاسة حرصا على تحقيق مرادها، أو التمتع بقسط من الراحة (الفضائية المعرفية Spatialité cognitive).

7-2-5- **الصَّـــوغُ النصـــيُّ:** يتكون من مجموع التدابير التي تجعل الخطاب تجليا ملموســـا باعتماد ماهيات معينة (اللون، والحرف، والصوت)، ويتجسد بتوقف المسار التوليدي في محطته النهائية (مستوى السطح) بعد استيفاء شروط ترابط وتلاحم صعيدي العبارة والمحتوى (ترتيب الألفاظ وتناسقها لتيسير تلقي الملفوظ). وعندما نريد تمثيل أحد مســـتويات المســـار التوليدي (النحو العميق، نحو الســـطح، المحفل

الفضاء	
البعد المعرفي	**البعد التداولي**
- تعرُّف معالم الفضاء، وأخذ فكرة مجملة عنه سعيا إلى استغلاله بطريقة مثلى، والتعامل معه بصفته نتاجا ثقافيا. - رصد سعيد مهران خصميه (عليش سدرة ونبوية) وتعرَّف عنوان بيتهما للقضاء عليهما في الوقت المناسب.	-الاحتكاك بالفضاء والتحرك في أرجائه؛ ما يؤدي إلى وقوع الأحداث وتعاقبها وفق مسار سردي معين. - انتقل سعيد مهران إلى عين المكان، وصعد إلى الطابق الثالث، ثم أطلق النار على الشبح الذي تقدم في حذر لفتح الباب. وتأكد من بعد أن الضحية هو الساكن الجديد شعبان حسين.

الصوري..الخ) نلجأ بالضرورة إلى الصوغ النصي بصفته فعلا للإنتاج (النتاج– الأثر) أو فعلا تلفظيا (ما يُشخَّصُ ويُعبَّرُ عنه في النص).

خاتمة

ليس المسار التوليدي إطارا مغلقا، بل هو مشروع مفتوح على المساهمات والأبحاث الجادة لإضفاء الدينامية عليه، وجعله مواكبا للمستحدثات المنهجية والمعرفية. ولذا سيظل – دوما– في طور الإنجاز حرصا على تدارك مكامن قصوره وتعزيز مواطن قوته. ركز السيميائيون في إعداد "المسار التوليدي" على ملاءمة العمل في الحياة بصفته القوة المحركة التي تحفز الذات على الانخراط في المشاريع الفردية أو الجماعية بغية تحقيق متمنياتها. وهذا ما يتطلب منها أن تتحلى بالمؤهلات والمواصفات التي تسعفها على النجاح في حياتها، والتغلب على العوائق والمصاعب التي تعترض سبيلها.

اضطلعت "مدرسة باريس" بمشاريع عديدة (التلفظ، والتَّذْويت، والقيم، والصوغ الجهي للكينونة، والأهواء...الخ) تطلعا إلى تجديد نُسغ لغتها الواصفة، واستدراك بعض القضايا المغفلة والمغيبة التي يمكن أن يستوعبها المسار التوليدي بالقوة، والسعي إلى إقامة الجسور مع النظريات المتاخمة.. وانشغلت – في المنحى نفسه– بأسئلة ابستمولوجية حرصا على تحديد أهدافها وآفاقها، وبيان موقعها ومنزلتها في العلوم الإنسانية: أي طريقة تناسب طبيعتها وسجيتها؟ أ هي طريقة الصَّوْرنة الرياضية (صياغة القوانين الدقيقة والمجردة) التي تؤهل السيميائيات إلى أداء دور " فيزياء الإنسانيات" أم طريقة المرونة المنهجية التي قد تسعفها على المساهمة في توطيد منهاجية العلوم الإنسانية (اقتراح النماذج المتوقعة والممكنة)؟([37]).

يميل السيميائيون اليوم إلى الطريقة الثانية سعيا إلى التخلص من الإرث المنهجي الصارم، والانفتاح على النظريات المتاخمة التي تتقاطع مع النظرية السيميائية (التلفظية،

---

[37] - يثير صاحبا **المعجم المعقلن للنظرية السيميائية** مثل هذه الأسئلة وعيا منهما بالمحرجات النظرية التي تعيق تطور السيميائيات، وتجبرها على إعادة النظر في ملاءمتها وصرحها لتواكب المستحدثات المنهجية والمعرفية، وتواصل إنجاز وتحقيق مشاريعها. انظر

A.J. Greimas et J.Courtés, *Sémiotique Dictionnaire raisonnée de la Théorie du Langage, II, op.cit.,* pp.5-6.

والتداولية، والذكاء الاصـــطناعي، ونظرية الكوارث، والدراســـات الثقافية)، والحرص على صياغة لغة واصفة مرنة تمكن من فهم المشاريع الإنسانية بحثا عن جودة الحياة، والرفاهية، وكرامة العيش. ولا تعني" المرونة" الخوض في مجال السيميائيات على غير علم أو بصيرة، بل هي خاصية متأصلة في الباحث الرصين الذي يتمتع بالقدرة على مواكبة المعارف الجديدة والاستفادة منها، وعلى التفاوض بحثا عن المخارج المناسبة والآفاق الجديدة.

ما يدل على ملاءمة السيميائيات اليوم قدرتها على فهم الأنساق الدلالية التي يتفاعل معها الإنســان يوميا في حياته، وملاءمتها لإحياء المذهب الحيوي، والتآزر مع كل النظريات التي تنكب على ما يقع في الغلاف الســـيميائي (التعدد اللغوي والثقافي، عوائق التعايش والتواصـــل في الفضـــاءات البينيَّة) تطلعا إلى شـــكل حياة تتوافر فيه الصـــفات المنشـــودة (الكرامة، العيش المشترك، السلم المستديم، التفاعل الثقافي البناء، طمأنينة النفس).

ثبت المصطلحات	
Actant (rôle actantiel)	العامل (الدور العاملي)
Acteur (rôle actoriel)	الفاعل (الفاعلي)
Actorialisation	الصوغ الفاعلي:تتواشج مختلف عناصر المكونات الدلالية والتركيبية فيما بينها لإنشاء الفواعل.
Aspect	الوِجْهة:الصيغة التي يُؤدَّى بها عمل الفعل، وتُحددُ من خلالها زمنيتُه: منته/ مستمر، منقطع/ متواصل، بَدئي/ تام.
Asymétrie	اللاتناظر
Axe sémantique	المحور الدلالي
Axiologie (Axiologique)	الأكسيولوجيا (أكسيولوجي(ة)): النظرية أو العلم الذي يُعنى بالقيم الأخلاقية.
Biosphère	الغلاف الإحيائي
Carré sémiotique	المربع السيميائي: التمثيل البصري للبنية الدلالية الأولية التي تتحدد– في بداية الأمر– بوصفها علاقة بين حدين متضادين (من قبيل: أبيض/ أسود). تسمى هذه العلاقة بالمحور الدلالي(اللون) الذي يبين لنا مدى إمكانية كل حد على حدة من الدخول في تعارض مع نقيضه، وبالتالي توليد علاقة جديدة من صنف: أ – لا أ .
Classème (classèmatique)	المَصْنَفُ (المَصْنفيّ)
Compétence	الكفاية
Conceptualisation	المَفْهَمَة
Dimension (cognitif, pragmatique et thymique).	البعد (المعرفي و التداولي والانفعالي).

Discursivisation	التخطيب: آليات نقل الخطاب من العمق إلى السطح، ومن المستوى الدلالي المجرد إلى المستوى الخطابي الملموس.
Embrayage (Débrayage) énonciatif	الاتصال (الانفصال) التلفظي
Enoncé	الملفوظ
Enonciation	التلفظ: آثار المتكلم وأفعال كلامه المُنْطبعة في اللغة.
Etat (s) d'âme	الحالة (الحالات) النفسية
Etat(s) de choses	حالة (حالات) الأشياء
Faire persuasif ou interprétatif	الفعل الإقناعي أو التأويلي
Fiduciaire (contrat ou dimension)	استيثاقي (عقد أو بعد) : كسب ثقة الآخر ومودته.
Figure	الصورة: ورد مفهوم الصورة(Figure) في تجليات اشتقاقية متعددة. يؤدي تداعي الصور إلى تكوين تشاكلات دلالية منسجمة ومتعاقبة.إذا كانت هناك إمكانات كثيرة لتصوير (Figurativiser) الموضوع نفسه، يظل–مع ذلك– مضمرا في المسارات التصويرية المختلفة (Parcours figuratif). فموضوع " المقدس" يُعبَّرُ عنه بصور مختلفة من قبيل:"القرآن الكريم"، و"المسجد"، و"المحراب"، و"الحرم المكي"، و"الصلاة"، و"شهر رمضان". تفيد الصُّوَريَّة(Figurativité) أن كل خطاب سيميائي هو تمثيل للعالم الطبيعي، إما بالتصوير (Figuration) كما هو الحال في النصوص الشعرية التي تتسم بالانزياح عن الواقع، وإما بالأيقونية (Iconicité) التي تحيل إلى الوهم المرجعي.
Isotopie	التشاكل
Jonction (conjonction / disjonction)	الربط (الوصل/ الفصل)

Lexème(s)	مُعجميَّة، ج.(مُعجميَّات) :وحدات معجمية.
Locuteur	المتكلم
Logocentrisme	المركزية اللغوية
Métalangage	اللغة الواصفة
Metasémiotique	اللغة السيميائية الواصفة
Modales (Compétences)	الجِهيَّة (الكفايات): المؤهلات التي ينبغي أن يتحلى بها الإنســـان لتحقيق مراده وغايتـه؛ ومن ضـــمنها جهات "الإرادة"، و"المعرفة"، و"الواجب"، و"الضرورة"، و"الفعل".
Modales (valeurs)	الجِهيَّة (القيم)
Modalisation (modalisateurs)	الإيجاه: استبدلت السيميائية الجهات Les modalités بالإيجاه (أو الموجهات) لكون المصطلح الأخير يوحي بالأثر التلفظي في الخطاب، في حين لا يفي المصطلح الأول بذلك.
Modalité	الجهة : ما يغير المسند في ملفوظ ما، وما يسعف المتكلم على تعديل ملفوظ ما باعتباره ضروريا أو ممكننا أو حقيقيا أو مفترضا أو قابلا للتحقيق أو إراديا أو معرفيا.
Narrativité	السرديَّة : الانتقال من حالة الفصل (ذ∩ م.ق) إلى حالة الوصل(ذ U م.ق) والعكس صحيح.
Nomenclature	الإسمية
Paradigme	الإبدال
Parcours figuratif	المسار الصوري
Parcours génératif	المسار التوليدي: خطاطة مفترضة أو هيكل صُوَري يستوعب المستويات والمفاصل السيميائية التي يمر منها المعنى إلى أن يتجسد في شكل آثار تلفظية وخطابية.
Performance	الإنجاز

Praxis énonciative	الممارسة التلفظية
Programme narratif (Anti–programme narratif)	البرنامج السردي (البرنامج السردي المضاد).
Schéma narratif canonique	الخطاطة السردية المُقننة أو المعيارية
Schéma passionnel canonique	الخطاطة الاستهوائية المقننة أو المعيارية
Sème / Sémique	المَعْنَمُ/ المعْنمي
Sémiosis (sémiose)	التدلال
Sémiotique	السيميائيات (السيميائية)
Signe (signifiant /signifié)	الدليل (الدال/ المدلول)
Somatique	الجسدي
Spatialisation	التفضية
Substance	الماهية
Syntagmatique	المُركَّبي
Syntaxe fondamentale (Fundamental synatx)	التركيب الأساس
Syntaxe narrative de surface (Narrative surface syntax)	التركيب السردي للسطح
Syntaxique	التركيبي

Temporalisation	التزمين: يخص التعيين الزمني (الليل، النهار، السنة)، والبرمجة الزمنية (توالي البرامج السردية بطريقة منطقية).
Thématique	الموضوعاتي
Véridictoire (contrat)	التحقُّقي (العقد): كيف تتجسد لعبة الحقيقة بالنظر إلى مقاصد المتكلم وأغراضه (ما قد يظهره (الحقيقة) أو يخفيه ويكتمه (السر)، وما قد يتصنعه ويتظاهر به (الكذب) أو يموهه ويزيفه (الزيف).